٢

توظيف التقنيات العقلية شبه المنطقية

وأثرها الحجاجي في الخطاب دراسة لنماذج

مختارة من تفسير القرآن والعقل

م.م مهند عبد الكريم جبار
جامعة البصرة–كلية الآداب

أ. د محمد عبد كاظم
جامعة البصرة– كلية الآداب

ملخص:

تكشف هذه الدراسة عن بعض التقنيات العقلية في الخطاب متخذة من (تفسير القرآن والعقل) للسيد نور الدين الحسيني مدونة للدراسة، لبيان أثر هذه التقنيات من الوجهة الحجاجية في محاولة لتحقيق الفهم والإقناع لدى المتلقي ، ولا سيما في العصر الحديث لكثرة الخطابات التفسيرية والتأويلية القائمة على النص الديني، وجاءت هذه الدراسة في محاولة لتأسيس لنظرية التحليل الحجاجي للخطابات عامة والخطاب التفسيري بشكل خاص لتبيان الجانب الحجاجي الذي يكتنف هذه الخطابات وأثره في بناء الفهم والإقناع عند المتلقي لهذا الخطاب.

الكلمات المفتاحية : التقنيات شبه المنطقية، الحجاج، الخطاب، القرآن والعقل، التعريف، التقسيم، التعدية، التدرج.

Employing quasi-logical rational techniques and their argumentative effect in discourse: A study of selected models of interpretation of the Qur'an and reason

Ass. Lec Muhannad Abdel Karim Jabbar (Basra University - College of Arts)

Prof . Dr. Muhammad Abd Kazem (Basra University - College of Arts)

Abstract:

This study reveals some rational techniques in speech, taken from (Interpretation of the Qur'an and Reason) by Sayyid Nour al-Din al-Husseini, a blog for the study, to show the impact of these techniques from the argumentative point of view in an attempt to achieve understanding and persuasion among the recipient, especially in the modern era due to the abundance of explanatory and interpretive speeches based on the text. Religious, and this study came in an attempt to establish the theory of argumentative analysis of speeches in general and explanatory speech in particular, to show the argumentative aspect that surrounds these speeches

and its impact on building understanding and persuasion among the recipient of this speech.

Keywords: semi-logical techniques, pilgrims, discourse, the Qur'an and reason, definition, division, transitivity, gradation.

مقدمة

يستند التحليل الحجاجي للخطاب التفسيري للقرآن الكريم لدى المفسِّر إلى عدد من المكونات اللغوية المعززة بالبراهين التي يقبلها العقل ويقدمها صاحب الخطاب على شكل حجج منسجمة مع عقلية المتلقين داخل إطار اللغة، وتعدّ اللغة الأساس الذي يبني عليه العقل أطروحته الحجاجية واستدلالاته العقلية.

إنّ الخطاب مهما يكن نوعه يوجّه إلى العقول للحكم على كلّ قضية تحملها لغة الخطاب في طياتها في سبيل الإذعان لما يقدّمه منشأ الخطاب وحصول الإقناع، فهنالك صلة وثيقة لا يمكن فصلها بين العقل والحجاج، كون هذا الأخير يعتمد على الأدلة العقلية في ممارساته الحجاجية بغية التأثير وتحقيق الإقناع.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتحليل الخطاب من وجهة حجاجية لتحليل الخطاب التفسيري لمدونة البحث (تفسير القرآن والعقل للسيد نور الدين الحسيني) من قبيل التقنيات العقلية الحجاجية وأثر توظيفها في الخطاب .

وبدأت هذه الدراسة بالتعرض للتقنيات العقلية شبه المنطقية وبيان أثرها الحجاجي، ومن ثمّ التعرض لمفهوم الخطاب التفسيري ، والتعريف بمدونة البحث (تفسير القرآن والعقل) وصاحبها السيد نور الدين الحسيني، ثمّ تناولت الدراسة أهم التقنيات العقلية شبه المنطقية البارزة في التفسير من قبيل التعريف والتقسيم والتعدية والحجاج بالتدرج، وتتبعها واختيار نماذج منها ودراستها، تبعتها خاتمة بأهم النتائج.

- **تفسير (القرآن والعقل) وصاحبه السيد نور الدين الحسيني:**

يعدّ تفسير القرآن والعقل من التفاسير التي فسرت القرآن على ضوء عقل المفسر دون الاعتماد على النقل ويقول الشيخ جعفر السبحاني بأنّه ((قام بتفسير القرآن بما يوحي إليه عقله الشخصي ويدركه بوجدانه وإنّما أسمى كتابه بهذا لأنّه لم يكن حين تأليف التفسير كتاب سوى تفسير الجلالين ، وقد ألّفه وهو في ساحات الحروب ينتقل من نقطة إلى أخرى)) [١]، وهو تفسير يعتمد على الملازمات العقلية المستفادة من ظاهر القرآن على مستوى الرأي وهو ما يجعل مدونة الدراسة محلّ اهتمام التحليل الحجاجي، يقع تفسير القرآن والعقل في ثلاثة أجزاء وغير شامل لكل السور القرآنية.

نسبه ومولده : هو السيد نور الدين الحسيني بن السيد شفيع بن السيد أحمد بن السيد محمد[٢]، ولد السيد نور الدين الحسيني في المدينة الإيرانية أراك عام (١٢٧٨هـ-١٨٦١م)، نشأ في مدينة أراك ودرس فيها العربية وعلومها والمنطق، رحل لمدينة النجف الأشرف وأكمل تحصيله العلمي والفقهي فيها[٣]،شارك السيد الحسيني بثورة العشرين في العراق عام (١٩٢٠م) وقاتل فيها ثمّ عاد إلى مدينة أراك مسقط رأسه بعد نهاية ثورة في العراق وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل (١٣٤١هـ-١٩٢٢م) ودفن فيها وله مزار معروف[٤]، له عدد من المؤلفات فضلاً عن التفسير وكتاب (النور المبين) المشار إليه و(شرح دعاء الصباح).

التقنيات العقلية شبه المنطقية :

يتخذ الحجاج شكلاً آخر يستند على تقنيات يقوم بتوظيفها في الخطاب، وإن كانت هذه التقنيات تقرُب من القضايا المنطقية الرياضية والعلمية[٥]، إلّا أنّها تعدّ أسلوباً عقلياً يُوظّف بما يُقدّم من معطيات لها أهميتها القصوى في العملية الخطابية عموماً والحجاجية بشكل خاص لإيصال المتلقي إلى الإقناع، ((وتستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة لكن هي تشبهها فحسب وليست هي إياها إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما ... يُبذل في بناء استدلالها جهد غير شكلي محض)) [٦]، ولأهمية هذه الحجج يعمد المخاطِب

إلى إدراجها في خطابه لتعزيز وتدعيم خطابه وتقويته ، فـ ((الأمر لا يتعلق ببرهنة صحيحة أو خاطئة، بل بحجج قوية بهذا القدر أو ذاك ، أو ضعيفة تحتاج إلى الاستعانة بحجج من نوع آخر لتقويمها)) [٧]، وتختلف هذه الحجج بحسب الخطاب المطروح والمعطيات التي يأتي عليها بما تقدمه له المكونات اللغوية من قوة إيحائية تفضي بالمتلقي إلى القبول والتسليم على وفق الأمر الذي وظِفت لأجله هذه التقنيات ، وسيقتصر البحث على تتبع بعض التقنيات التي كانت بارزة في خطاب المفسِّر وتفسير القرآن والعقل .

أولا : الحجاج بالتعريف :

يعدّ التعريف من التقنيات التي لها أهمية كبيرة في توسيم ومعرفة ماهية الأشياء وصفاتها ، لأنّ المقصود بالتعريف ((أمران : (الأول) تصوّر المعرَّف (بالفتح) بحقيقته لتتكون له في النفس صورة تفصيلية وواضحة ، و(الثاني) تمييزه في الذهن عن غيره تمييزاً تاماً)) [٨]، فالمراد بالتعريف إذن معرفة حقيقة الشيء بوساطة التقاط بعضاً من سماته الجوهرية والواقعية[٩]، والمميزة له عن غيره في سبيل حصول الإفهام للحالة أو الشيء المعني بالتعريف .

إنّ التعريف تقنية حجاجية لها أسلوبها الخاص وصياغتها المحكمة لكي لا تجعل منفذاً لدخول غيرها في الأحكام والقضايا الخاصة بهذا الأمر أو ذاك، وهذا يجعل المتلقي للخطاب الحجاجي بالتعريف من ((أخذ موقف مناسب أو غير مناسب للشيء المعرَّف))[١٠].

والمتتبع للخطاب التفسيري عامة وخطاب السيد نور الدين الحسيني في تفسير (القرآن والعقل) خاصة يجد أكثر من موضع للتعريف الحجاجي ، وهدف الحجاج ((دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي تُقدّم لهم)) [١١]، ونلحظ ذلك في قول المفسِّر عن تفسير قوله تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ{١١} أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)) [١٢]، حيث يقول : ((الإفساد ما يوجب الضرر على أهل الأرض من نقص

أنفسهم وأعراضهم من دون انجبار بالنفع الأتم ، وكذلك ما يوجب تخريب عمارة الأرض من دون صلاح أعظم ، وإلّا فالتخريب للإصلاح لا يكون إفساداً ، يكون تعميراً وذا من الأمور الواضحة العقلائية ، ... ، فإذا قيل لهم إنّ أفعالكم موجبة لنقص أهل الأرض ، من دون وقوع المقاتلة بينهم ونقص نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم قالوا إنّما نحن مصلحون لتوهمهم أنّه بهذه الأمور ينتفي النبي (صلى عليه وآله وسلم) والمؤمنون ويخلّصون أهل الأرض من النبي وأتباعه ، والفساد الفعلي الجزئي المتعاقب بالصلاح العظيم لا يكون إفساداً ، ولكن اعلموا أنّ توهمهم فاسد ، فإنّ النبي وهو الحق يعلو كلّ يوم ويظهر على الدين كله ولو كره المشركون . هذا مع إنّ بذهابه يذهب صلاح الدار الأخروية، فالمفسد الحقيقي هو هؤلاء الأشخاص الذين لا يترتب على أفعالهم سوى إتلاف النفوس والأموال في الدنيا مع عدم بلوغهم إلى مقاصدهم مضافاً إلى الفساد الأخروي المترتب على أفعالهم)) [١٣]، والتتبع العقلي للخطاب المتقدّم يوصل لعدد من الأمور التي وقف عندها المفسِّر بياناً وإيضاحاً وتفسيراً وتعريفاً.

فبلحاظ قوله (الإفساد) استعمل صيغة المصدر للتعريف بعدد من المتعلقات في مقام الشرح والتوضيح وهذا ((المقام هو الذي يعطي لهذه العبارات دلالتها المخصوصة)) [١٤]، وبيانها للمتلقي ومنها :

- الإفساد يوجب الضرر
- نقص الأنفس والأعراض والأموال
- عدم النفع نهائياً
- تخريب عمارة الأرض دون الإصلاح
- نقص أهل الأرض جميعاً
- انتفاء النبي وأتباعه
- ذهاب النبي ذهاب للآخرة
- يترتب عليه إتلاف النفوس

- فساد الآخرة نتيجة أفعالهم

فالمتعلقات المُضمّنة في لفظ (الإفساد) تحتاج للتوضيح والتعريف والبيان بغية إقامة الحجة القوية على المتلقي وبيان حقيقة الفساد وتعريف صورته التفصيلية في ذهن المتلقي .

فلا بدّ من معرفة حقيقة الشيء المعرَّف بالكشف عن خواصه المميزة له وفق منطق عقلي وأسلوب حجاجي هدفه إقامة الحجة وتدعيمها بالمكون اللغوي ، وفضلاً عن ذلك ترتيب الحجج داخل الحجة التعريفية لما له من أثر قوي في نفسية المتلقين ، وهذا يتضح جلياً من استعمال التقنية الحجاجية التعريفية بالبنية الفعلية المضارعة في قول المفسِّر (ما يوجب الضرر – ما يوجب تخريب عمارة الأرض)، وهذا الاستعمال بالبنية الفعلية جاء موازياً لحالة الإفساد وما يترتب عليها من الضرر والتخريب ، ((فالفعل يدلّ على التجدد والحدوث))[١٥]، ففسادهم حادث أينما وجدوا وكأنّ حالة الفساد هذه أصبحت سلوكاً يصدق عليه من أفعالهم نقص الأنفس والأعراض وتخريب عمارة الأرض ، وأعمالهم هذه متجددة الحدوث حتى أصبحت صفة ملازمة لهم ومتحصَّلة من أفعالهم.

وبلحاظ الخطاب المتقدّم بالبنية الفعلية نلحظ عدول المفسِّر إلى البنية الأسمية وإدراجها بين الفعلين ومن المعروف أنّ ((الاسم يدلّ على الثبوت))[١٦]، فما يوجب الضرر والنقص في الأنفس والأعراض يكون دون نفع مطلقاً ، وهذا ما احتملته البنية الاسمية (دون انجبار بالنفع الأتم) بعد العدول بها عن الفعلية ، وهذا العدول يحمل بُعداً حجاجياً متمثلاً بتوجيه المخاطَب نحو التعريف بماهية الفساد وضرره المتواصل في كلّ مكان حتى يكون باعثاً له لاجتناب ذلك بثبات الحجة التعريفية في الخطاب .

إنّ تعاضد الأساليب الحجاجية في سياق الخطاب يعطي قوة تأثيرية توحي بثبات الفكرة لدى المتلقي (المخاطَب) نتيجة اتحاد مكونات الخطاب داخل السياق المعرفي المحدد وترسيم حقيقة الشيء الذاتية أو العرضية في ذهنية المتلقين ، وترسيخ الحجة العقلية واستجلاء الغاية الإفهامية.

فالمعرفة التي تُضمّن داخل الحدّ التعريفي تحتاج إلى لغة خطابية من جهة ، ومنطقية خطابية من جهة أخرى ، ويتمظهر ذلك في الخطاب المتقدّم بالتعريف بأجزاء الشيء المعرَّف حتى يسدّ كلّ باب للشك ويتحقق المطلوب في ذهن المتلقي .

ويتضح ذلك جلياً بذكر المفسِّر للفساد (الجزئي الفعلي المتعاقب بالصلاح العظيم) ، حتى لا يظنّ المتلقي أنّ كل تخريب أو إفساد لِما كان قائماً هو إفساد كليّ ، وإلّا لكان كلّ خروج أو حرب لدفع الظلم هو إفساد نتيجة ما يترتب عليه من نقص في الأنفس والأموال ، وهنا نلحظ تنبيه للمتلقي بقيام الإصلاح العظيم بعد الفساد الجزئي ، وهذا ما تمثّل في شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحصول الصلاح الفعلي، وذكر الجملة الاعتراضية (وهو الحق) جاء ليدحض حجة من يريد انتقاء النبي وأتباعه لإفسادهم الجزئي المتعاقب بالإصلاح الكليّ العظيم.

فالمتلقي ينتقل بين طرفين الإفساد الحقيقي والصلاح العظيم بعد الفساد الجزئي ليصل إلى مسلمة وحجة قوية مدعّمة بالأدلة التفصيلية التعريفية فضلاً عن المكونات اللغوية وهي أنّ الإفساد الدنيوي المتحصّل من نقص الأنفس (ونفس النبي أهمها) موجِب لفساد الآخرة التي هي غاية المرام.

ثانياً : الحجاج بالتقسيم :

يعدّ التقسيم من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد في تكوينها على العلاقات الرياضية، ولكن ((ليست هي إياها إذ ... يُبذل في بناء استدلالها جهد غير شكل محض)) [١٧] ، ولكن يعتمد على العلاقات الرياضية في حجيته، ومن تلك العلاقات علاقة الجزء بالكلّ وعلاقة الكلّ بالجزء[١٨]، وتقسيم الشيء يعني ((تجزئته وتفريقه إلى أمور متباينة)) [١٩]، فالتقسيم يكون للكلّ أي ((تحليل ما صدق اسم كلي من أجل معرفة الأنواع التي يتألف منها جنس من الأجناس بالتفصيل)) [٢٠].

ويستند الحجاج بالتقسيم على عدد من الشروط المهمة لتكوين الحجة الناجعة التي يحقق استعمالها قوة حجاجية ، ومن الشروط الواجب توفرها ، ((هو أن يكون تعداد

الأجزاء شاملاً)) [٢١]، دون تفريط بأيّ جزء من أجزاء المقسّم حتى يحصل في نفس المتلقي حجة لا يمكن ردها نتيجة قيام ذات الشيء المقسّم مقام أجزاءه أو العكس ، ((بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه))[٢٢].

وممّا أدرجه المفسِّر في خطابه من قبيل الحجاج بالتقسيم تفسير قوله تعالى : ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) [٢٣]، قوله : ((هذا الأمر البعيد عن الأذهان الذي نتلوه عليك ، من الحجج الإلهية ، وعلاماتها ومن العلم المتقن ، فإنّه من العلوم العالية المثبة في كتاب القضاء الذي يثبت ولا يمحو ، وهو أنّ لعيسى (عليه السلام) كآدم (عليه السلام) جهتين .(أحديهما) : من عالم الخلق ومن هذه الحيثية من المركبات من العناصر التي جزئها الغالب هو التراب . (والأخرى) : من عالم الأمر الذي يكفي فيه لفظ (كن) أي الوجود الملقى من الله ، وهو النور وعالم العقل ، فكما أنّ بدن آدم من التراب لقوله تعالى : ((إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ))، وقوله تعالى: ((مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ))، وروحه من العالم العالي حيث أمر الملائكة بأنّي إذا ((نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)) ، فكذلك المسيح (عليه السلام) بدنه من التراب وهو من أجزاء الماء المستقر في رحم مريم (عليها السلام) لابتهاجها بغلبة الملكوت ومشاهدة الروح متمثلاً بالبشر السوي ...)) [٢٤]، فالمفسِّر في بيان الشبه بين آدم (عليه السلام) وبين عيسى (عليه السلام) يذكر حجتين مقسماً باب الشبه بينهما على قسمين أو جهتين كما قسمها المفسِّر وأول هذه الأقسام هو عالم الخلق والآخر هو عالم الأمر ، فالخلق هو ما يكون من حيث التركيب وإرجاع الشيء للعناصر المكونة له أي التقسيم هنا بحسب المادة التكوينية التي خلق منها آدم (عليه السلام) وكذلك جاء خلق عيسى (عليه السلام) من المادة ذاتها ، فكلاهما جاء خلقه من دون أبّ فالأجزاء المكونة لهما هي ذاتها والمكوِّن الغالب عليها هو التراب .

أمّا القسم الآخر الذي ذكره المفسِّر هو (عالم الأمر) لإتمام الحجة والمعبَّر عنه بقول المفسِّر (لفظ (كنْ)) الملقى من الله ، فجعل محل التمثيل بين النبيينِ على قسمين بحسب التحليل العقلي، مادي وهو (التراب) وأمري متمثل بإرادة التكوين الإلهية بـ (كنْ)

، ثـمّ يعـود المفسِّـر ليـدعم تقسـيمه هـذا بـذكر هـذه الصـفات الخَلقيّـة التكوينيّـة للمسـيح (عليه السلام) فبعـد التقسـيم العـام الـذي أورده بلحـاظ الخطـاب المتقـدّم وتقسـيمه علـى جهتـين يـذكر الأجـزاء وأنّ التـراب مكـوّن لبـدن عيسـى (عليه السلام) وهـذا مـا يصـدق عليـه وجـوده فـي بطـن أمّـه مـريم (عليهـا السـلام) وتكوّنـه مـن المـاء المسـتقر فـي رحمهـا كـون مـريم (عليهـا السـلام) مخلوقة من التراب.

وبلحـاظ مـا تقـدّم مـن التقسـيم وتراتبيـة الحجـج التـي تـدحض مقـام الربوبيـة عـن المسـيح (عليه السلام) نتيجـة الشـبه الواقـع بينـه وبـين آدم (عليه السلام)، نلحـظ قـوة حجـة التقسـيم العقليـة وأثرهـا فـي متلقـي الخطـاب ، فـالمتلقي عنـدما يُقـدَّم لـه حجـة مدعّمـة بأجزائهـا المكوِّنـة لهـا لا يستطيع معها إلّا الإذعان لها والقبول بها .

والتقسـيم المتقـدِّم أيضـاً يظهـر الشـبه الواضـح الـذي لا يمكـن نفيـه بـين خلـق آدم (عليه السلام) وخلـق عيسـى (عليه السلام) فكلامهـا مركـب مـن أجـزاء تفصـيلية يتوصـل إليهـا متلقـي الخطـاب نتيجـة اسـتقراءه لقـول المخاطِـب بعـدم دخـول قسـم آخـر لِمـا قدّمـه المفسِّـر ، كمـا وأنّ التقسـيم بـذكر الأقسـام المنضـوية تحـت الحجـة المقدَّمـة يفضـي بالنتيجـة للإذعـان للفكـرة أو الحجـة موضـع الحـديث، كـون النـاظر للحجـة أو المتلقـي لهـا يراهـا مـن طـرفين أحـدهما عقلـي والآخـر اسـتقرائي[٢٥]، فهـو تقسـيم عقلـي لأنّ الشـبه بـين عيسـى (عليه السلام) وآدم (عليه السلام) لا يكـون إلّا مـن الهيـأة الجسـمانية (البشـرية) أو الملكوتيـة التـي تكـون فـي عـالم الأمـر أو عـالم الأرواح ، والطـرف الآخـر الـذي يمكـن أن يـراه متلقـي الحجـة هـو الجانـب الاسـتقرائي فـالمتتبع لهـذا التقسـيم يمتنـع عليـه المجـيء بقسـم آخـر لمـا ذُكـر مـن القسـمين المتقـدمين ، وهنا تكمن القيمة الحجاجية للتقسيم .

والمتتبـع للخطـاب السـابق يلحـظ الـدور الكبيـر للمكونـات اللغويـة الـذي تعاضـد مـع حجيـة التقسـيم فـي ترسـيم حجـة قويـة لا تقبـل الـدحض ، ويتضـح ذلـك جليـاً مـن اسـتعمال الـرابط الحجـاجي الفـاء فـي (فكـذلك) مـع الـرابط الحجـاجي المـدرج للنتـائج (كـذلك) وتحقيـق الشـبه المتـرابط بـين الحجـة والنتيجـة ، فـالرابط الحجـاجي الفـاء يـأتي بـه المخاطِـب فـي كلامـه فـي سـبيل إدراج النتيجـة بعـد ذكـر الحجـة وبتعاضـد الـرابطينِ الحجـاجيينِ الفـاء

و(كذلك) المدرج للنتائج تزداد القوة الحجاجية للتقسيم ، فخلق آدم (عليه السلام) من الحيثيات والعناصر المركبة للتراب في القسم الأول وإتباعه بالأمرية بلفظ (كنْ) في القسم الثاني يصل بالمتلقي إلى القبول بالنتيجة (المسيح بدنه مخلوق من التراب) أيضاً ، وهذا هو ما يسعى المفسِّر إلى تحقيقه بطريقة عقلية في خطابه فضلاً عن إدراجه للمكون اللغوي.

ثالثاً : الحجاج بالتعدية :

وهي من الحجج التي تعتمد على البنى المنطقية الشكلية[٢٦]، والتعدية ((خاصية صورية لبعض العلاقات التي تسمح بالانتقال من الإثبات بأنّ نفس العلاقة التي توجد بين طرفي (أ وب) وبين (ب وج) إلى الاستنتاج بأنّ هناك نفس العلاقة بين طرفي (أ وج)))[٢٧] ، ومن الأمثلة المساقة لحجة التعدية المثال المشهور في أوساط الدراسات الحجاجية ((القول بأنّ صديق صديقي، صديقي أو عدو صديقي عدوي))[٢٨]، ويأتي الأسلوب الحجاجي بالتعدية مشتملاً على عدد من العلاقات ، التي يمكن أن تلاحظ في الخطاب الحجاجي من قبيل علاقة التضمّن أو الاشتمال أو التفوق أو غيرها من العلاقات التي يمكن أن نجدها مخفية تحت حجة التعدية[٢٩].

ومن المواضع التي جاءت بحجّة التعدية في الخطاب التفسيري تفسير السيد نور الدين الحسيني لقوله تعالى : ((وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)) [٣٠]، حيث يقول في تفسيره : ((أي بعد أخذ العدو لك جعلت من قبلي محبوبية عليك وأوجدت فيك صفة المحبوبية بحيث يحبك من يراك، ولذا حصل حبك في قلب العدو أيضاً وهو فرعون، والغاية محذوفة للقرينة أي جعلت فيك تلك المحبوبية لتصير محبوباً عند الكل ومنهم فرعون))[٣١]، ويمكن بيان حجة التعدية من قبيل المعادلة الآتية :

- فرعون عدو الله وقاتل الأطفال أخذ موسى
- الله أوجد محبوبية موسى في قلب كلّ من يراه

- النتيجة : فرعون أحبّ نبي الله وهو عدو لهما

وهنا تصدق حجة التعدية (عدو صديقي عدوي) في المعادلة المتقدمة فعدو موسى (عليه السلام) فرعون هو أيضاً عدوّ لله ولكنّه أحبّ موسى ، وبلحاظ الخطاب المتقدّم من قول المفسِّر يمكن أن نرى أنّ هناك قضية أو نتيجة أخرى مضمّنة في ثنايا الخطاب وهي مسكوت عنها وقد عبّر عنها المفسِّر (بالغاية المحذوفة) وقوله ((أي جعلت فيك تلك المحبوبية لتصير محبوباً عند الكلّ ومنهم فرعون)) ، والنتيجة المسكوت عنها هي :

- قدرة الله على كلِّ شيء ورعايته لمن يريد

والقضية أو النتيجة المتقدمة (المسكوت عنها) هي علاقة التضمّن التي تعدّ من علاقات التعدية المهمة فهي ((العلاقة المنطقية تبيّن أنّ قضيّة ما تتضمّن قضية أخرى))[٣٢]، وهذه النتيجة لعلاقة التضمّن تظهر جلياً في الأسلوب الحجاجي للتعدية ويؤكدها ما جاء في كلام المفسِّر لتفسير قوله تعالى : ((وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)) [٣٣]، إذ يقول : ((أي لأجل أن تربّى على عيني، وهو عطف على الغاية المحذوفة أي جعلتك محبوباً لتصير محبوباً ولتربّى على عيني))[٣٤]، ولفظ (العين) كما ذكر المفسِّر ((من صفات الجلال))[٣٥]، وهنا تظهر شدة رعاية الله لنبيه موسى (عليه السلام) فهو بعين الله وحمايته أينما كان فقد جعله عند العدو فرعون القاتل للأطفال بحثاً عن موسى (عليه السلام) وهذا من مظاهر القدرة الإلهية العظيمة فرغم وحشية فرعون وطغيانه إلّا أنّه أخذ موسى (عليه السلام) واعتنى به أيما عناية ، وسبب ذلك هو الجعل والإيجاد للمحبوبية التي أضفاها الله على نبيه ، وقد صاغ المفسِّر بنية الخطاب بالصيغة الماضوية من نحو (جعلتُ، أوجدتُ، جعلتُ، جعلتك) في أكثر من موضع ليوحي بمدى القدرة الإلهية لله عز وجل والرعاية الكبيرة لموسى (عليه السلام) قبل خروجه للدنيا من بطن أمّه، ويؤكد ذلك استعمال ضمير المتكلم المتصل (التاء) بالأفعال المتقدمة، وقد استعمل المفسِّر المكون اللغوي فعل الجعل ليُبين أنّ هذا الجعل أي (المحبوبية) ليس بالشيء السهل كما يُتوقع كون فرعون عدو قاتل للأطفال مستبيح للحرمات وهو ما يؤكد أنّ هذه المحبّة هي ((خلق ... في قلب المحبِّ بدون سبب عادي حتى كأنّه وضعٌ باليد لا مقتضي له في العادة ...للدلالة على أنّها محبة خارقة للعادة))[٣٦]، وفضلا عن ذلك إنّ الجعل له معنى

حسي بمعنى الوضع أو التصيير[٣٧]، ويتضح ممّا تقدم أهمية حجة التعدية في تثبيت الفكرة بما تضمّنته من نتائج مضمرة داخل البنية الحجاجية لهذه العلاقة يدعمها المكوّن اللغوي الموظّف من قبل المفسِّر في خطابه التفسيري.

رابعاً : الحجاج بالتدرج :

يعمد صاحب الخطاب أحياناً إلى اتخاذ أسلوب يقوم على التدرج في خطابه، والخطاب التفسيري يتخذ من الأسلوب التدرجي طريقاً لترتيب أجزاء الكلام وحجة ناجعة لها أثرها القوي على المتلقي نتيجة لما تحمله المكونات اللغوية الموظّفة في الخطاب من القيم الحجاجية المدركة في الموضع ذاته.

وممّا جاء حاملاً لأسلوب الحجاج التدرجي كلام المفسِّر عن تفسير قوله تعالى : ((فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ))[٣٨]، في قضية السجود لآدم (عليه السلام) ووجوب سجود الملائكة جميعاً وكيف لا يكون السجود شركاً حيثُ يقول : ((أي بسبب صيرورة مرتبته العالية حينئذ من الجبروت، وأنتم من عالم الملكوت فيلزم عليكم الوقوع في السجود أي الخضوع، وحيث أنّه بلحاظ أمر الله وكون الجبروت من رشحة الفيض الأقدس أو الذات، فلا يكون من حيث الذات حتى يكون كالسجود لله، بل يكون عرضياً بلحاظ كونه من الله، فلا مانع منه عقلاً ولا يكون شركاً))[٣٩]، فالمفسِّر في الخطاب المتقدّم انتقل متدرجاً في سلسلة من الملفوظات التي لها صفة التراتبية حتى يصل إلى بالمخاطَب إلى الاقتناع في سبب سجود الملائكة لآدم (عليه السلام) ويمكن توضيح ذلك بالتدرج الآتي :

- صيرورة المرتبة العالية لآدم لأنّه من عالم الجبروت

- أنتم (الملائكة) من عالم الملكوت

النتيجة : يلزم عليكم الوقوع في السجود والخضوع

التدرج الآخر:

– الجبروت من رشحة الفيض الأقدس (الذات الإلهية)

– ما يكون من الذات يكون مسجوداً له

النتيجة : لا مانع عقلي أو عقائدي (الشرك) من السجود لآدم

فالوقوع في السجود جاء نتيجة للحجة العقلية للأسلوب التدرجي، فآدم (عليه السلام) صار في مرتبة عالية (عالم الجبروت) وهذا الأخير واحد من العوالم الوجودية الكلية كما يقسمها العلماء على خمسة عوالم مرتبة من الأعلى إلى الأدنى وهي[٤٠]: {عالم الذات أو (اللاهوت)، عالم الصفات أو (الجبروت)، عالم الملكوت أو (الأرواح)، عالم الملك، عالم الناسوت}، وهي مقسمة بين الغيب والمحسوس، ((فالعوالم الثلاثة من هذه الخمسة هي ضمن عالم الغيب، لأنّها خارجة عن عالم الإدراك والحواس، وأمّا العالمان الآخران فهما ضمن عالم الشهادة ، لأنّهما محسوسان))[٤١]، فصيرورة آدم (عليه السلام) من عالم الجبروت جعله أعلى من الملائكة كونه من عالم أعلى والملائكة من عالم الملكوت وهو أدنى من العالم السابق فلزم عليهم الخضوع فهي أشبه بما تكون بالتدرج المتقابل.

وفي الانتقال إلى الحجة الأخرى نلحظ تأكيد المفسِّر على المسألة الوجودية للعوالم الكلية ولكنّ بالتدرج العكسي لما تقدّم في التدرج السابق من الأدنى إلى الأعلى فالجبروت صعوداً من رشحات الذات الإلهية المقدسة (عالم الذات) الواجب السجود له، وما كان من حيثياته يكون سجوداً لله جلّ وعلا هو الآخر، وهنا فلا شيء يمنع الملائكة عقلاً من السجود لآدم (عليه السلام) كما أنّ سجودهم لا يُعدّ شركاً بلحاظ ما تقدّم من الحجاج القائم على التدرج بل يجب عليهم ذلك وهو شيء عرضي وهو ما يؤكده وجود الرابط الحجاجي (بل) الذي جاء هنا للربط ((بين حجتين متساوقتين،... أو يربط بين مجموعة من الحجج المتساوقة إلّا أنّ الحجة الواردة بعده أقوى من الحجة أو الحجج التي تتقدّمه))[٤٢]، فما صدر عن الذات الإلهية يسجد له بل يكون أمراً عرضياً أي طبيعياً، فتوظيف المكونات اللغوية مع البنية الحجاجية للأسلوب التدرجي جاء متعالقاً مع حالة الإثبات التدرجي لسجود الملائكة في نفس المتلقي .

وفضلاً عن ذلك نلحظ ذكر السيد نور الدين الحسيني للضمير (أنتم) إشارة إلى الملائكة عدولاً عن ذكر لفظ الملائكة وهو عنصر حجاجي يأتي لمجموعة المخاطبين، وجاء به المفسِّر لبيان أنّ تدرج الملائكة يكون من عالم الملكوت وهو أدنى من العالم الذي صار آدم (عليه السلام) إليه.

وممّا تقدّم نلحظ أهمية الأسلوب العقلي التدرجي مع المكونات اللغوية في العملية الحجاجية ودوره الفاعل في البناء الخطابي للخطاب التفسيري لإثبات أو إبطال ما يتبناه صاحب الخطاب من قضايا في ذهنية المتلقين .

الخاتمة :

١. إنّ الأساليب العقلية واللغوية تمثّل اجراء إقناعي عبر تقنية تأثيرية استمالية مصدرها المكون اللغوي للتشكيلة الخطابية التفسيرية على الخطاب القرآني، يجري الأسلوب العقلي معها بما يملكه من بعد إقناعي بوساطة توظيف التقنيات العقلية حتى تشكّل استدلالاً يقضي بضرورة عدم مخالفة الفهم للتساؤل المطروح.
٢. يمكن أن يكون الحجاج ممارسة منظمة يظهر صداها التأثيري داخل بنية الخطاب القائمة على التفسير ، نظراً لما يقوم عليه العنصر الحجاجي من الدور الإقناعي داخل البنية الخطابية.
٣. التحليل الحجاجي لأي خطاب حامل له يمكن أن يكون مصداقاً للمقولتين: (إننّا نتكلم عامة بقصد التأثير) ومقولة(إنّ الحجاج متجذر في اللغة).
٤. استعمال الحجج شبه المنطقية يعزز ويدعم الخطاب القائم على التفسير ، لأنّ هذه الحجج تستمد قواها الإقناعية من المنطق الشكلي شبه الرياضي المستعمل في البرهنة العلمية.

٥. يمثل الأسلوب العقلي للتقسيم حجة ناجعة متمكنة في ذات المتلقي مصدرها التعداد الشمولي لأجزاء الشيء المقسّم نتيجة قيام أجزاءه التقسيمية ببيان ذات الشيء المقسّم بما يُشعر بوجوده الحقيقي .

الهوامش:

(١) المناهج التفسيرية في علوم القرآن : الشيخ جعفر السبحاني : ٨٩.

(٢) يُنظر : أعلام الشيعة : د. جعفر المهاجر: ٩٢١ . والقرآن والعقل تفسير بديع في أسلوبه : السيد نور الدين الحسيني العراقي : مقدمة التفسير.

(٣) يُنظر : أعلام الشيعة : ٩٢١.

(٤) يُنظر : أعلام الشيعة : ٩٢١. والقرآن والعقل : ١/ مقدمة التفسير.

(٥) ينظر : المعجم الفلسفي : ٢٣٧.

(٦) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٤٢.

(٧) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ، د.الحسين بنو هاشم : ٥٩.

(٨) المنطق للمظفر :٩٦/١.

(٩) ينظر : الحجاج ، كرستيان بلانتان: ٩٤. وينظر : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٤٤.

(١٠) الحجاج (كريستيان بلانتان) : ٩٦.

(١١) آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية (أطروحة دكتوراه) ، سعد بولنوار، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر : ١٨٩.

(١٢) البقرة : ١١-١٢.

(١٣) القرآن والعقل : ٩/١.

(١٤) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٤٥.

(١٥) معاني النحو: ١٥/١.

(١٦) المصدر نفسه :١٦.

(١٧) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: ٤٢.

(١٨) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٩) المنطق للمظفر : ١٠٢/١.

(٢٠) المعجم الفلسفي : ٥٥١.

(٢١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٤٨.

(٢٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٣) آل عمران : ٥٩.

(٢٤) القرآن والعقل : ١/٢٢٣-٢٢٤.

(٢٥) ينظر : المنطق للمظفر : ١/١١١.

(٢٦) ينظر : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٤٦.

(٢٧) الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، د. محمد الولي : ٣٧٩.

(٢٨) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ٢٠٤.

(٢٩) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠٤.

(٣٠) طه : ٣٩.

(٣١) القرآن والعقل : ٣/٢٧٣.

(٣٢) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : ٤٧.

(٣٣) طه : ٣٩.

(٣٤) القرآن والعقل : ٣/٢٧٤.

(٣٥) المصدر نفسه: ٣/٢٧٣.

(٣٦) التحرير والتنوير ، محمد طاهر بن عاشور : ١٦/٢١٧.

(٣٧) يُنظر : معاني النحو : ٢/٢٦.

(٣٨) الحجر : ٢٩.

(٣٩) القرآن والعقل : ٣/٩٨.

(٤٠) ينظر : معرفة الله ، السيد محمد الحسيني الطهراني، تعريب: عباس جواد الصافي : ١/١٦٨.

(٤١) المصدر نفسه : ١/١٦٩.

(٤٢) اللغة والحجاج : ٦٤.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية (أطروحة دكتوراه) ، سعد بولنوار، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر.
- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، د. محمد الولي ، مكتبة دار الأمان ، ط١، الرباط، المغرب ،١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.
- أعلام الشيعة : د. جعفر المهاجر ، دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع، بعلبك، لبنان، د.ط، ٢٠٠٨م : ٩٢١ . والقرآن والعقل تفسير بديع في أسلوبه : السيد نور الدين الحسيني العراقي ، الناشر: بنياد فرهنك محمد حسين كوشانبوره، د.ط ،د.ت.
- التحرير والتنوير ، محمد طاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، د.ط ، تونس ، ١٩٤٨م.
- الحجاج ، كرستيان بلانتان ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، دار سيناترا ، تونس، ٢٠١٠م.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط٢ ، إربد، الأردن ، ٢٠١١م.

- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: د. عبد الله صوله ، مكسيلياني للنشر والتوزيع، ط١، تونس،٢٠١١م.
- القرآن والعقل تفسير بديع في أسلوبه : السيد نور الدين الحسيني العراقي ، الناشر: بنياد فرهنك محمد حسين كوشانبوره، د.ط ، د.ت .
- معاني النحو : د. فاضل السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث، ط١ ،بيروت ، لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- المعجم الفلسفي : مراد وهبة ، الهيئة المصرية للكتاب، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠١٦م.
- معرفة الله ، السيد محمد الحسيني الطهراني، تعريب: عباس جواد الصافي، د.ط، د.ت، دار المحجة البيضاء ، إيران.
- المناهج التفسيرية في علوم القرآن : الشيخ جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق، مدينة قم، إيران، ط٤، ١٤٣٢هـ.
- المنطق : الشيخ محمد رضا المظفر، دار المتقين ، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ، د.الحسين بنو هاشم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١، بنغازي، ليبيا ، ٢٠١٤م.